شعر:
صلاح عبد الصّبور

مائيات:
عدلي رزق الله





إهـــــــــداء٢٠٠٧

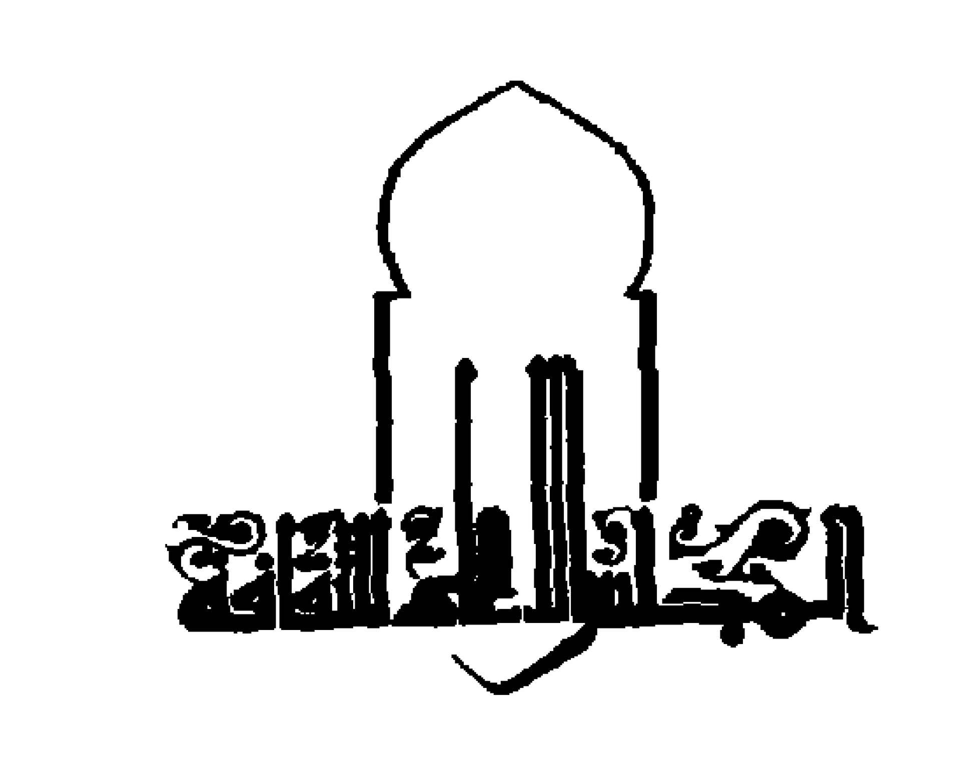
الفنان / عدلي رزق الله

جمهورية مصر العربية

اعتمدت فى اختيار القصائد على مختارات صلاح عبد الصبور التى أعدها جابر عصفور

شعـر:
صلاح عبد الصبور

مائيات:
عدلي رزق الله



أغنية من فينا

كانت تنام فى سريرى، والصباح
منسكب كأنه وشاح
من رأسها لردفها
وقطرة من مطر الخريف
ترقد فى ظلال جفنها

والنفس المستعجل الخفيف
يشهق فى حلمتها

وقفت قربها، أحسها، أرقبها، أشمها
النبض نبض وثنى
والروح روح صوفى، سليب البدن

أقول، يانفسى، رآك الله عطشى حين بل غربتك
جائعة فقوتك
تائهة فمد خيط نجمة يضىء لك

يا جسمها الأبيض قل: أأنت صوت؟
فقد تحارونا كثيراً فى المساء

يا جسمها الأبيض قل: أأنت خضرة منورة؟
يا كم تجولت سعيداً فى حدائقك

يا جسمها الأبيض قل: أأنت خمره؟
فقد نهلت من حواف مرمرك
سقايتى من المدام والحباب والزبد

يا جسمها الأبيض مثل خاطر الملائكة
تبارك الله الذى قد أبدعك

وأحمد الله الذى ذات مساء
على جفونى وضعك
لما رأينا الشمس فى مفارق الطرق

مدت ذراعيها الجميلتين

مدت ذراعيها المخيفتين
ونقرت أصابع المدينة المدببة
على زجاج عشنا، كأنها تدفعنا

نذهب، أين؟
تشابكت أكفنك واعتنقت
أصابع اليدين

تعانقت شفاهنا، وافترقت
فى قبلة بليلة منهومة
تفرقت خطواتنا، وانكفأت
على السلالم القديمة
ثم نزلنا للطريق واجمين
لما دخلنا فى مواكب البشر
المسرعين الخطو نحو الخبز والمئونه

المسرعين الخطو نحو الموت

فى جبهة الطريق، انفلتت ذراعها
فى نصفه، تباعدت، فرقنا مستعجل يشد طفلته

فى آخر الطريق تقت - ما استطعت - لو رأيت
ما لون عينيها

وحين شارفنا ذرى الميدان، غمغمت بدون صوت
كأنها تسألنى . . من أنت؟



أغنية

وجه حبيبى خيمة من نور
شعر حبيبى حقل حنطه
خدا حبيبى فلقتا رمان
جيد حبيبى مقلع من الرخام
نهدا حبيبى طائران توأمان أزغبان
حضن حبيبى واحة من الكروم والعطور
الكنز والجنة والسلام والأمان
قرب حبيبى

لقد صنعت من ضلوعى ذلك الصندوق
أوتاره الظلام والخيال، مقلتاى عازفان
وجئت بستانك الصغير يا مليكة النساء
فى غبشه المساء

من بعد أن أنفقت يومى فى الغناء للصحاب
حدثتهم عن لوعتى، يا جرحى المخضل، يا ذلى، وكلهم جريح
وليس مثلى واحد . . . .

جيد حبيبى مقلع من الرخام
وجه حبيبى خيمة من نور
علقت أقدارى على خيط رفيع من ضياء
صنعت مركباً من الدخان والمداد والورق
ربانها أمهر من قاد سفيناً فى خضم
وفوق قمة السفين يخفق العلم

وجه حبيبى خيمة من نور
وجه حبيبى بيرقى المنشور
جبت الليالى باحثاً فى جوفها عن لؤلؤه
وعدت فى الجراب بضعة من المحار
وكومة من الحصى وقبضة من الجمار
وما وجدت اللؤلؤه

سيدتى، إليك قلبى، وإغفرى لى . . أبيض كاللؤلؤه

وطيب كاللؤلؤه

ولامع كاللؤلؤه

هدية الفقير

وقد ترينه يزين عشك الصغير



لحن

جارتى مدت من الشرفة حبلاً من نغم
نغم قاس رتيب الضرب منزوف القرار
نغم كالنار
نغم يقلع من قلبى السكينه
نغم يورق فى نفسى أدغالاً حزينة

بيننا يا جارتى بحر عميق
بيننا بحر من العجز رهيب وعميق
وأنا لست بقرصان . . . ولم أركب سفينه

بيننا يا جارتى سبع صحارى
وأنا لم أبرح القرية مذ كنت صبياً
ألقيت فى رجلى الأصفاد مذ كنت صبياً
أنت فى القلعة تغفين على فرش الحرير
وتذودين عن النفس السآمة
بالمرايا واللآلى والعطور
وإنتظار الفارس الأشقر فى الليل الأخير

– أشرقى يا فتنتى
– مولاى . . !
– أشواقى رمت بى !
– آه . . لا تقسم على حبى بوجه القمر
ذلك الخداع فى كل مساء
يكتسى وجهاً جديداً

وأنا لست أميراً
لا ، ولست المضحك المراح فى قصر الأمير
سأريك لعجب المعجب فى شمس النهار
أنا لا أملك ما يملأ كفى طعاماً
وبخديك من النعمة تفاح وسكر
فاضحكى – يا جارتى – للتعساء
نغمى صوتك فى كل فضاء
وإذا أومض فى العتمة مصباح فريد
فأذكرى !
زيته نور عيونى ، وعيون الأصدقاء
ورفاقى تعساء

ربما لا يملك الواحد منهم حشو فم
ويمرون على الدنيا خفافاً كالنسيم
ووديعين كأفراخ حمامه
وعلى كاهلهم عبء كبير وفريد
عبء أن يولد في العتمة مصباح وحيد



الشمس والمرأة

كانت تتململ فى ضجعتها ،
شمس غاربة ،
تتفصد نوراً مكتوماً ،
تتمزق فى منحنيات الظل
وتهوى أشلاء

كانت تتململ فى ضجعتها ،
تخفى بضع خطوط فى ساقيها ،
تتمدد زرقاء

عيناها تنطفئان وتشتعلان

هدباها يرتخيان ويرتعدان
تتذاكر عهداً ذهبياً ،

قضته فى صحبة رجل مجنون ،

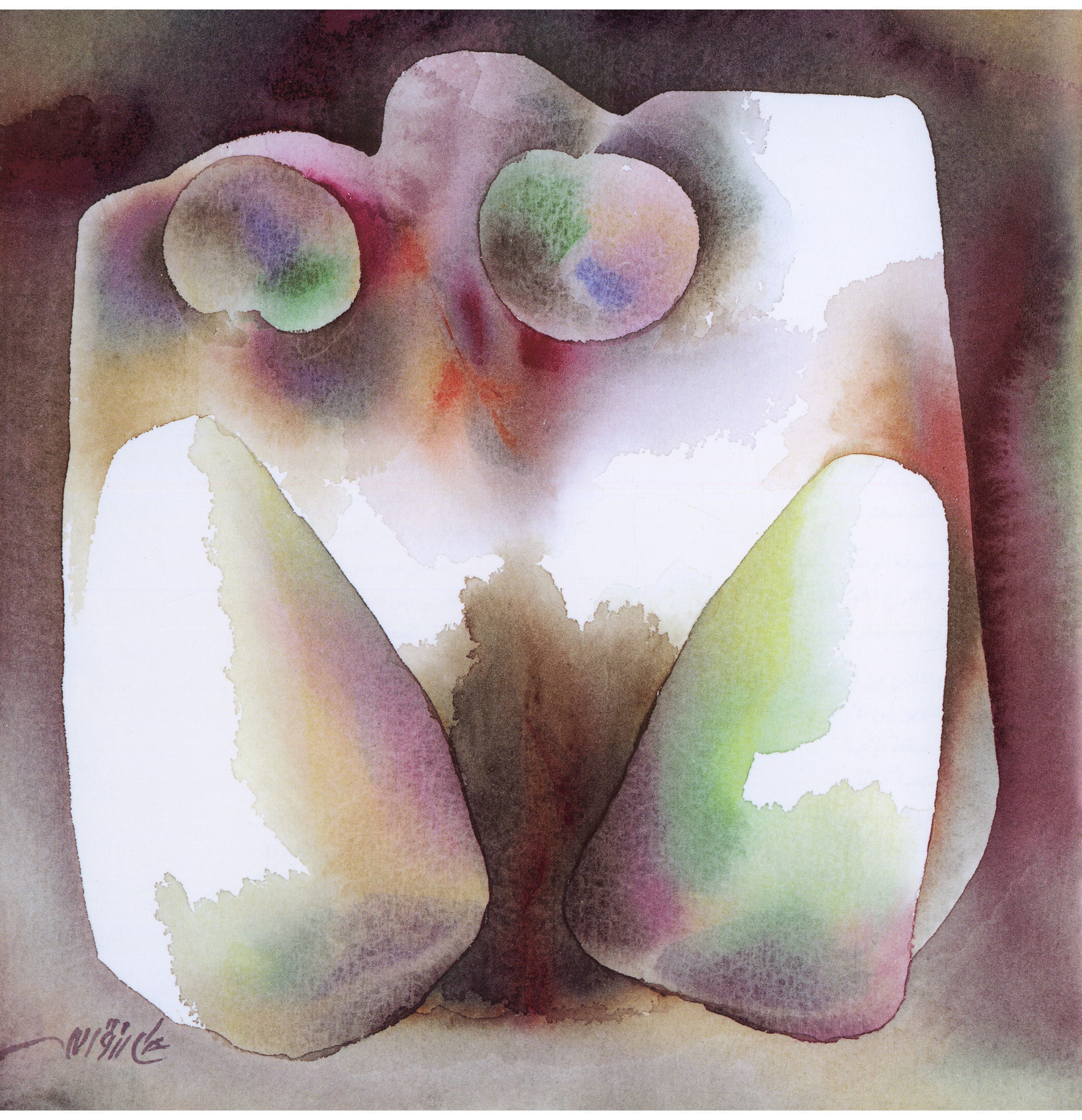
لا يتورع أن يضجعها فوق العشب
ويلقم نهديها حتى تبكى إعياء

هبطت عن مضجعها لما جاء الليل ،
بلت شيخوختها فى ماء البحر ،
أغفت حتى تولد فى الصبح الدانى ، عذراء

هزت نهديها الممطوطين
بحثت بينهما عن مفتاح الغرفة
نظرت تتلمس خطوتها فى الرمل ،
وقامت مرهقة شمطاء
أخذت من أول دكان
ما يكفيها من خبز ونبيذ ودخان
ذهبت كى ترقد فى ماضيها ،
تنشئه إنشاء

الصبح يشد ذؤابات الشمس العذراء
ويفرشها الحصباء

كانت تتبسم ميتة،
ويداها فى نهديها ،
فمها يتحلب ماء



«لم أزل فيما نظمته فى هذا الجزء
على الإيماء إلى الواردات الإلهية،
والتنزلات الروحية، والمناسبات
العلوية، جرياً على طريقتنا
المثلى : محيى الدين بن عربى»

البحث عن وردة الصقيع

أبحث عنك فى ملاءة المساء
أراك كالنجوم عاريه

نائمة مبعثره

مشوقة للوصل والمسامره
ولاقتراح الخمر والغناء
وحينما تهتز أجفانى

وتفلتين من شباك رؤيتى المنحسره
تذوين بين الأرض والسماء
ويسقط الإعياء
منهمراً كالمطره
على هشم نفسى الذابلة المنكسره
كأنه الإغماء

أبحث عنك فى مقاهى آخر المساء والمطاعم
أراك تجلسين جلسة النداء الباسم
ضاحكة مستبشرة
وعندما تهتز أجفانى
وتفلتين من خيوط الوهم والدعاء
تذوين بين النور والزجاج
ويقفر المقعد والمائدة الهباء
ويصبح المكان خاوياً ومعتماً
كأنه صحراء

أبحث عنك فى العطور القلقه
كأنها تطل من نوافذ الثياب
أبحث عنك فى الخطى المفارقة
يقودها إلى لا شيء، لا مكان
وهم الانتظار والحضور والغياب

أبحث عنك فى معاطف الشتاء أذ تلف
وتصبح الأجسام فى الظلام
تورية ملفوفة،
أو نصباً من الرصاص والرخام
وفى الذراعين اللتين تكشفان عن منابت الزغب
حين يهل الصيف
ترتجلان الحركات الملغزه
وتعبثان فى همود الموت والسموم والزحام
حتى يدور العام

أبحث عنك فى مفارق الطرق
واقفة، ذاهلةً، فى لحظة التجلى
منصوبة كخيمة من الحرير
يهزها نسيم صيفٍ دافىءٍ،
أو ريح صبحٍ غائمٍ مبلل مطير
فترتخى حبالها، حتى تميل فى إنكشافها
على سواد ظلى الأسير
ويبتدى لينتهى حوارنا القصير

أبحث عنك فى مرايا عُلب المساء والمصاعد
أبحث عنك فى زحام الهمهمات
معقودة ملتفة فى أسقف المساجد

أبحث عنك فى المتاجر
أبحث عنك فى محطات القطار والمعابر
فى الكتب الصفراء والبيضاء والمحابر
وفى حدائق الأطفال والمقابر
أنظر فى عيون الناس جامد الأحداق
كأنى أسأل كل عابر
أوى إلى بيتى فى الليل الأخير
أنتظر انبثاقك - البغتة - كالحقيقة
(أيتها السفينة الوهمية المسار
يا وردة الصقيع
أيتها العاصفة المحكمة الإسار
خلف فصول الزمن الدوار)
حتى إذا طال انتظارى المرير
شربت كأس الخمر والدوار

كأننى أقبل الدموع فى حدود الكأس
قطرة، فقطرة
كأننى ألتذ باليأس والانكسار
وأورق اليقين،
أن مستحيلاً قاطعاً كالسيف
لقاؤنا،
إلا للمحة من طرف



أنثى

حبيبى أطفأ المصباح،
وانطفأت مرارته على بدنى
وأيقظ حزنه، وأراق من عينيه فى وسنى،
فأيقظنى

ومد جناحه المحطوم من حولى
وعانقنى

ووشوش صوته المنعوم فى أذنى
يؤرجحنى

على أغصان دمعته التى امتزجت، وفرحته
وحين أصاب من نفسى الذى يبغيه،
أطلقنى

وأغفى فى جوارى، والمساء يلم طرحته
لتولد فى الصباح مرارة أخرى
وتولد

شهوة فى الليل، تدفع صدر محبوبى
ليطفئها على بدنى



أغنية لليل

الليل سكرنا وكأسنا
ألفاظنا التى تدار فيه نقلنا وبقلنا
الله لا يحرمنى الليل ولا مرارته
وإن أتانى الموت، فلأمت محدثاً أو سامعاً
أو فلأمت، أصابعى فى شعرها الجعد الثقيل الرائحة

فى ركنى الليلى، فى المقهى الذى تضيئه مصابح حزينه
حزينة كحزن عينيها اللتين تخشيان النور فى النهار
عينان سوداوان
نضاحتان بالجلال المر والأحزان
مرت عليهما تصاريف الزمان
فشالتا من كل يومٍ أسودٍ ظلا . . .

عينان سردابان
عميقتان موتا
غريقتان صمتا
فإن تكلمتا
تندتا تعاسة ولوعة ومقتا
ينكشف السرداب حينما تدق الساعة البطيئة الخطى

معلنة أن المسا قد انكشف

تقول لى العينان:

« يا عاهرى المتوج الفودين بالحديد والحصى »
« يا ملكى الغريب الاسم المزيف السمات »
« أحببت فيك رؤية رأيتها منذ الصغر »
« وكان يشبهك »
« وليس أنت . . . ليس أنت ! »

« كان فتى حلمى جميلاً، لا مزوقاً »
« مثقفاً، لا ذرب اللسان »
« محتشماً، نبالة فى الطبع، لا خوفا »
« وعاطفاً، لا عاطفياً »
« يا عاهرى،
يا خدعتى، يا قدرى »!

« فى الساعة الليلية الأخيرة »
« خذنى إلى البيت، فإننى أخاف أن يبللنى الندى
« تذوب أصباغى ويبدو قبح وجهى »

وتصمت العينان، ترجعان
عميقتان صمتا
غريقتان موتا
الليل ثوبنا، خباؤنا
رتبتنا، شارتنا، التى بها يعرفنا أصحابنا

((لا يعرف الليل سوى من فقد النهار))
هذا شعارنا
لا تبكنا، يا أيها المستمع السعيد
فنحن مزهوون بانهزامنا



رؤيا

فى كل مساء،
حين تدق الساعة نصف الليل،
وتذوى الأصوات
أتداخل فى جلدى، أتشرب أنفاسى

وأنادم ظلى فوق الحائط
أتجول فى تاريخى، أتنزه فى تذكاراتى
أتحد بجسمى المتفتت فى أجزاء اليوم الميت
تستيقظ أيامى المدفونة فى جسمى المتفتت
أتشابك طفلاً وصبياً وحكيماً محزونا
يتآلف ضحكى وبكائى مثل قرار وجواب
أجدل حبلاً من زهوى وضياعى
لأعلقه فى سقف الليل الأزرق
أتسلقه حتى أتمدد فى وجه قباب المدن الصخرية
أتعانق والدنيا فى منتصف الليل

حين تدق الساعة دقتها الأولى
تبدأ رحلتى الليلية
أتخير ركناً من أركان الأرض الستة
كى أنفذ منه غريباً مجهولاً
يتكشف وجهى، وتسيل غضون جبينى
تتماوج فيه عينان معذبتان مسامحتان
يتحول جسمى دخاناً ونداوه
ترقد أعضائى فى ظل نجوم الليل الوهاجة والمنطفأه
تتآكلها الظلمة والأنداء، لتنحل صفاءً وهيولى
أتمزق ريحاً طيبة تحمل حبات الخصب المختبئة
تخفيها تحت سراويل العشاق،
وفى أذرعة الأغصان
أتفتت أحياناً موسيقى سحرية
هائمة فى أنحاء الوديان

أتحول حين يتم تمامى - زمناً
تتنقل فى نجوم الليل
تتجول دقات الساعات

كل صباح، يفتح باب الكون الشرقى
وتخرج منه الشمس اللهبيه

وتذوب أعضائى، ثم تجمدها
تلقى نوراً يكشف عريى
تتخلع عن عورتى النجمات
أتجمع فأراً، أهوى من عليائى،
إذا تنقطع حبالى الليليه
يلقى بى فى مخزن عاديات
كى أتأمل بعيون مرتبكه
من تحت الأرفف أقدام المارة فى الطرقات . .



٤ أصوات ليلية للمدينة المتألمة

صوت:
آه،
ليس هو الليل،
بل الرحم،
القبر،
الغابة

آه
ليس هو الليل
بل الخوف الداجى

أنهار الوحشة،
والرعب المتمدد،
والأحزان الباطنة الصخابه

آه،
ليس هو الليل
بل القدر،
الرؤيا الهولية،
وسقوط الحاضر فى المستقبل

آه،
ليس هو الليل،
بل الجرح اليومى،
ينزُّ دماً أسود،
فى الصبح المقبل

صوت مجموعة نساء:

شجر الليل على مفرقنا مال، وأرخى
شعره المحلول فى أكتافنا
ثم ألقى ثمر الوجد، وأزهار الكآبه
فى مأقينا وفى أكمامنا

واعتنقنا، وغصون الشجر الموحش
حتى دب فى أعطافنا
شبق الحزن الذى كل دجى يعتادنا
فاضطجعنا،
ووهبناه، وذبنا، حتى لفنا، واشتفنا
ثم . . . ألقانا هنا
جائعات نشتهى، كل مساء، موحش، شجر الليل
لكى يعصرنا
يلقى بذور الألم الموجع فى أحشائنا

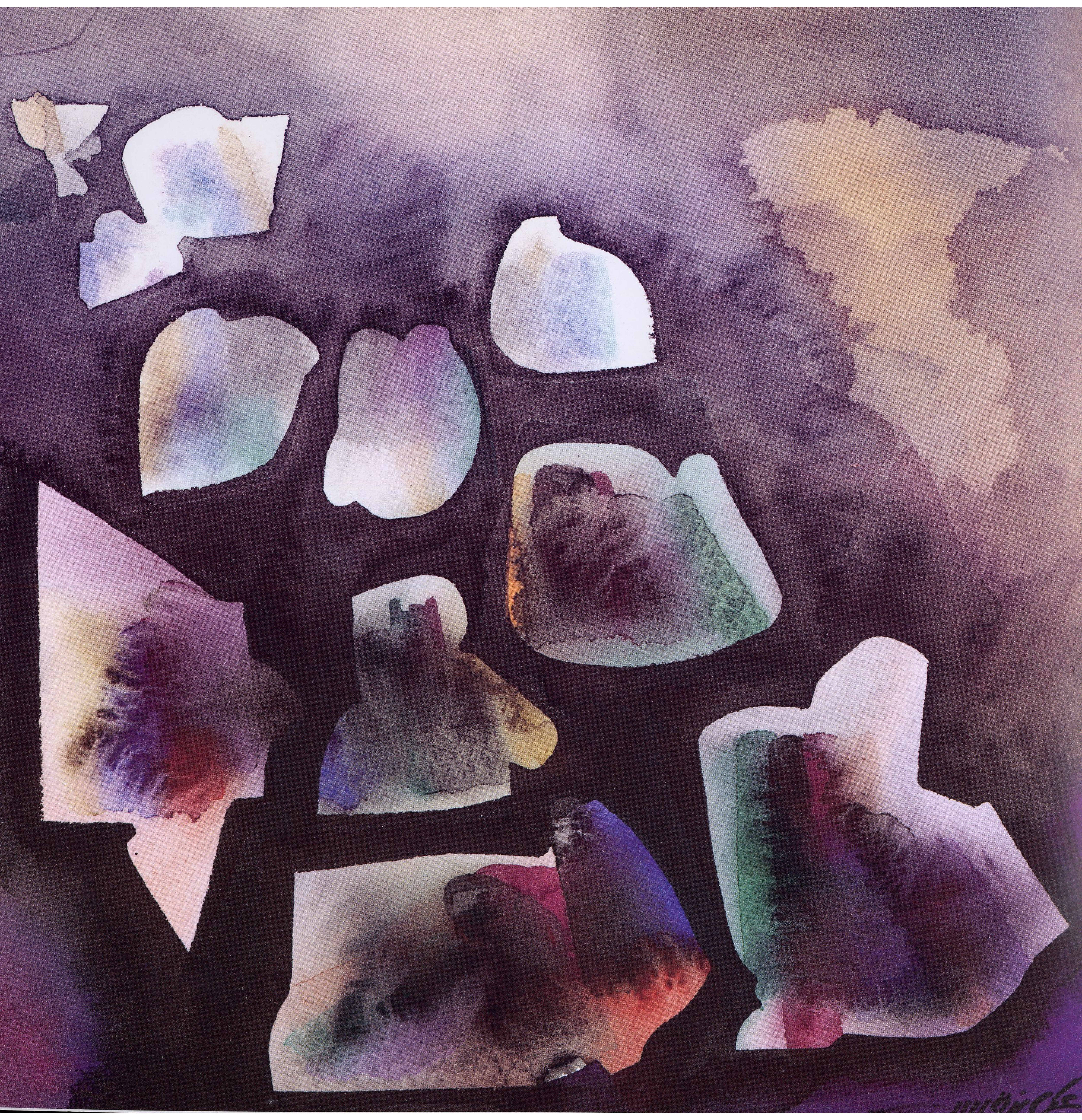
صوت الشاعر:

كل مساءٍ،
قبل أن يأوى إلى فراشه الكليم
وقبل أن يغيب فى غياهب الإغماء
يطوف فى خياله الحلم العقيم
أن تفتح السماء
أبوابها عن نبأ عظيم

كل صباح
قبل أن يطالع الحياة والأحياء
مسهد الجفون، مقروح الفؤاد
سأمان مما حملت صحف الصباح من أنباء

يسأل هذا الشاعر السقيم
سؤاله السقيم

رباه!
رباه!
ما سر هذه التعاسة العظيمة؟
ما سر هذا الفزع العظيم؟



الإبحار فى الذاكرة

أتأهب للميعاد - الرحلة - فى آخر كل مساء
أتقرى أورادى، أتزيا شاراتى
فى أهداب الغيم، أنشر أشرعتى
أتلقى فى صفحتها نذر الريح، نبوءات الأنباء

البحارة يصطخبون . .
الملاحون . . الفئران . . التذكارات . . المحبوسون
فى أوردة المركب يضطربون
وأخوض رماد الآفاق،
إلى جزر المعلوم المجهول الدكناء
يتكشف تحتى مرج الموج، وتمضى بى الريح رخاء

فى آخر أعقاب الليل
تأتينى نذر الريح
تنقر فى شاراتى الأمواج - العقبان
يتقاذف مرساتى صخب القيعان
يصفعنى من خلف الدجن
صوت يتردد جياش الأصداء

«قدم قربانك للبحر الغضبان»
«قدم قربانك للبحر الغضبان»
«قدم قربان . . . »

وحدى أمضى،
يطوى تحتى حقل الموج،
وقد ألقيت إلى البحر الغضبان
قربان البحارة والفئران

لا تبحر فى ذاكرتك قط
لا تبحر فى ذاكرتك قط



تأملات ليلية

١

أبحرت وحدى فى عيون الناس والأفكار والمدن
وتهت وحدى فى صحارى الوجد والظنون
غفوت وحدى، مشرع القبضة، مشدود البدن
على أرائك السعف
طارق نصف الليل فى فنادق المشردين
أو فى حوانيت الجنون
سريت وحدى فى شوارع لغاتها، سماتها، عماء
أسمع أصداء خطاى
ترن فى النوافذ العمياء،
وطرت بين الشمس والسحابة

ونمت فى أحضان ربة الكتابة
لكننى، هذا المساء
(مممدداً ساقى فى مقعدى المألوف)
أحس أنى خائف
وأن شيئاً فى ضلوعى يرتجف
وأننى أصابنى العى، فلا أبين
وأننى أوشك أن أبكى
وأننى،
سقطت،
فى،
كمين

٢

وكأنى قطعة صخر
تهتف بالأقدام
ردينى فى أكتاف الجبل الجرداء
أو فى حضن الأغوار المهجورة
وخذينى من أرصفة الطرقات
أو زنزانات السجن المتسخة
أو أعتاب الخمارات
وكأنى كومة رمل
تهتف بالأيدى:
ذرينى فوق شطوط البحر

ألقينى جنب طيور الزبد البيضاء
صونينى عن آنية الزرع الشمعى
أو عن طرق الأمراء
وكأنى نهر
يهتف بالمجرى:
أرجعنى للقمم البيضاء
حتى لا يشربنى الحمقى والجهلاء

٣

أين أعلق تذكاراتى
والحائط منهار
أين أسمر حزنى، شغفى
أفراحى، ولهى، لهفى

والحائط منهار
يا أيتها الأمسية الصيفية
ردى عنى أنسام النسيان
أو فاعطينى صندوقاً من كلمات
كى أخزن فيه بعض المقتنيات
يا أسفى،

هربت مقتنياتى كالطير الهيمان
تذكاراتى ارتفعت نحو الآفاق الغيمية
حبلاً من دخان

٤

الظلمة تهوى نحو الشرفة
فى عربتها السوداء
صلصلة العجلات الوهمية
تتردد فى الأنحاء
خدم الظلمة والأجراء
طافوا من حول المركبة الدخانية
يلقون بذور الوجد الخضراء
عينا القمر اللبنى الشاحب

بكتا مطراً فوق جبينى المتعب
بكتا حتى ابتل الثوب
آه، يلذعنى البرد
فلأهرع للغرفة
لم أدرك أنى عريان
إلا الآن



تكرارية

الليل، الليل يكرر نفسه
ويكرر نفسه
والصبح يكرر نفسه
والأحلام، وخطوات الأقدام
وهبوط الإظلام
وهبوط الوحشة فى القلب مع الإظلام

رعشات الأوردة المثلوجة المحرورة
ورفيف الرايات المنصورة والمكسورة
قصص القتلى والقتله
وفكاهات الهزليين وهزل الفكهين
وضجيج الطرقات
وجنازات الأموات
حتى سأم التكرار يكرر نفسه
(مدينة كهذه المدينة الغريبة
تكاثرت على مدى الزمان، كررت أيامها
وخزنت فى لحمها وجلدها المكررين
تسع ملايين من المكررين . . .)

تتمرد بعض المدن على التكرار
وتحاول جاهدة أن تتشبه بالمدن الأحلام
أو المدن التاريخ كما نسجتها الأوهام
أو المدن الآثار كما تحكى عنها الأصنام
أو المدن اليوتوبيات المرسومة من عبث الأقلام
المدن المرسومة فى كهف مرايا الله
ظلاً دون قوام

يتمرد بعض المكرورين على التكرار
يتحور بعض المكرورين إلى نقش فوق جدار أو نحت
من أحجار
لكن الريح . . الشمس . . الأمطار
تسلمهم للتكرار

يتحور بعض المكرورين إلى أصوات
أو أنغام أو أشعار

لكن هدير الزمن الدوار
يبتلع الزامر والمزمار
يتحور بعض المكرورين إلى طبل منفوخ
لكن ما تثبته الصحف اليومية والحواليات
ينساه التاريخ

لا تبحر عكس الأقدار
واسقط مختاراً في التكرار

